

وسائل الاعلام في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي...
بدايات الصحافة المكتوبة، الاذاعة والتلفزيون

Media in Algeria under French occupation The beginnings of written journalism, radio and television

الحاج تيطاوني

أستاذ باحث

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

titelhadj@gmail.com

تاريخ النشر : 2019/06/03

تاريخ القبول: 2019/05/21

تاريخ الاستلام: 2019/04/18

ملخص:

عرف الجزائريون كل انواع وسائل الاعلام في وقت مبكر من القرن 20 مقارنة بكل الدول العربية . فقد اجتهدت الادارة الفرنسية على انشاء كل انواع وسائل الاعلام المتاحة على ارض الجزائر المحتلة من اجل فرض الامر الواقع منذ وطئت اساطيله سواحل وموانئ سيدي فرج البحرية في 1830. فكانت ليسطافات دو سيدي فرج في 1830 وكانت الاذاعة في 1926 وكان التلفزيون في نهاية 1956 و بداية 1957. واستمر الحال على ذلك بتمدد استعماري عسكري على الارض في مواجهة مقاومة شعبية في كل مناطق الجزائر ... لقد عرفت الجزائر انخراط الصحافة في حياة الناس سواء عبر الاستعمار الفرنسي او عبر الجزائريين على اختلاف وانهم السياسية ومواقفهم من التواجد الاستعماري في الجزائر . ومع اندلاع الثورة ادرك الجزائريون اهمية مرافقة الكلمة والصورة والصوت للعمل المسلح في مواجهة الدعاية الفرنسية داخليا وخارجيا.

الكلمات المفتاحية: (الصحافة، الاذاعة، التلفزيون، الثورة، الاستعمار)

Abstract:

The Algerian people knew kinds of media (newspapers, radio and television) in the early previous century compared to the Arab and African countries. The French administration tried to set up all medias available in Algeria to impose them since the arrival of their fleets on the Algerian Coasts and the Ports of Sidi Frej in 1830. It founded 'l'estafette de sidiferruch 1830', the 'radio' in 1926 , 'television' in 1957 ... Many people were engaged in journalism either Algerians or colonizeres (neglecting

المؤلف المرسل : الحاج تيطاوني

their points of view about the colonial existence). By the Algerian Revolution, people recognized the importance of media to confront the French propaganda.

Keywords: press; radio; television; revolution; colonialism.

1 . مقدمة:

ليس غريبا ان يعرف الجزائريون كل انواع وسائل الاعلام (الصحف و الاذاعة والتلفزيون) في وقت مبكر مقارنة بكل الدول العربية والإفريقية .

فقد اجتهدت الادارة الفرنسية على ان تنخرط بكل انواع وسائل الاعلام المتاحة لفرض الامر الواقع منذ وطئت اساطيله ارض الجزائر عبر سواحل وموانئ سيدي فرج البحرية منذ 1830 . فكانت ليسطافات دو سيدي فرج في 1830 والمرشد الجزائري في 1832 والახبار في 1839 والمبشر 1847 فكانت الجزائر اول دول المغرب العربي معرفة بالصحافة .¹ (دليو، 2013)

وعرف الجزائريون الاذاعة في 1926 ، كما عرفوا التلفزيون في نهاية 1956 وبداية 1957 . واستمر الحال على ذلك بتمدد استعماري عسكري على الارض في مواجهة مقاومات شعبية في كل منطقة مناطق الجزائر مع ظهور حركة وطنية سياسية تتأرجح بين المقاومة المسلحة والدعوة الى تحسين الحال الاقتصادي والاجتماعي للأمة الجزائرية في رؤى موزعة بين جملة من التيارات الاندماجية والاصلاحية والثورية ، الامر الذي انعكس على ميلاد عديد الصحف التي امكن تأسيسها على ارض الجزائر المحتلة في ما عرف بالاتجاهات الاربعة للصحف الصادرة بالجزائر من 1830 الى 1962 والمتمثلة في - الصحافة الاستعمارية . صحافة أحباب الأهالي- صحافة الأهالي . الصحافة الوطنية الاستقلالية . هذا الوضع عرض عشرات الصحف الى الغلق والاعتقال والغرامات المالية والملاحقات والتضييق بحسب مواقفها من الاحتلال .

الامر نفسه تعرضت له محاولات الثورة الجزائرية النضال عبر البث الاذاعي عبر اذاعات الدول الشقيقة والصديقة ما اضطر الثورة الى استخدام شاحنة متنقلة منذ أواخر العام 1957 الى 1959 . الى جانب تواجد البث التلفزيوني الفرنسي بالجزائر منذ العام 1957 الى غاية حصول الجزائر على استقلالها ، والذي كان اشكال تسييره بعض من بنود اتفاقيات ايفيان التي افضت الى استمرار الاشراف الفرنسي الى ما بعد الاستقلال بكثير من الغطرسة و الاهانات للدولة الجزائرية الفتية وللشعب الجزائري المتطلع لعهد جديد مشرق بعد معاناة دامت 132 سنة من الاحتلال.

01. بدايات الصحافة المكتوبة في الجزائر

عرف الجزائريون الصحافة عن طريق الاحتلال الفرنسي منذ الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، فحينما دخل الفرنسيون الجزائر عام 1830 احضروا معهم على اسطول الماريشال ديبيري ، فضلا عن الاسلحة الفتاكة والذخيرة الحية ، كان من بين معداتهم مطبعة تم جلبها خصيصا لإصدار أول صحيفة مفرنسة في الجزائر المحتلة رغم أنها لم تصدر سوى عددان في العام نفسه ويتعلق الامر بصحيفة ليسطافات دو سيدي فرج ، لتلحق بها فيما بعد جرائد اخرى عديدة مدعومة من طرف الجيش الفرنسي² (بشار، 2010) كصحيفة ليسطافات دالجي³ (احدادن، 1992 . هذه الجرائد لم تعمر طويلا لتحل محلها جريدة "الأخبار" منذ العام 1839 إلى غاية 1898 كما برزت بعد ذلك عدة صحف فرنسية على التراب الجزائري عرفت رواجاً كبيراً بين الفرنسيين منها ما استمر في الصدور حتى استرجاع الجزائر لاستقلالها، مثل "لابريس ليبر" و"ليكو دالجي" و"لوجورنال دالجي" و"ليكو دورون وغيرها".⁴ (احدادن، 1992) وتعددت عناوين الصحف الصادرة في الجزائر قبل الاستقلال ليصل إلى حوالي 150 صحيفة طوال العهد الاستعماري ، يمكن تصنيفها إلى 04 أصناف من الصحف من حيث الخط السياسي وهي على النحو التالي :

1/1 الصحافة الحكومية . صحافة السلطة

هي الصحافة التي تشرف عليها الحكومة الفرنسية بواسطة ممثلها في الجزائر الوالي العام ومنها جريدة المباشرة "1847-1927" وجريدة كوكب إفريقيا "1907-1914" وجريدة النجاح "1919-1956" وقد لعبت هذه الصحف دوراً إعلامياً وثقافياً مهماً عندما أسندت رئاسة تحريرها إلى بعض الشخصيات المثقفة الجزائرية التي أصبحت تعتقد أن ليس هناك مانع للتعامل مع السلطة الاستعمارية مادام هذا التعامل يقتصر على النشاط الثقافي العربي الإسلامي كما حدث في جريدة المباشرة مع الشيخ البدوي والشيخ الحفناوي والشيخ بن زكري والشيخ ابن خوجة الكمال وغيرهم حيث تم بفضلهم تمكين الجريدة من أن يكون لها رواج بين بعض الجزائريين عندما بدأت بنشر مقالات في الأدب والفلسفة والدين والتاريخ ليمتد مجال قراءها حتى إلى المثقفين باللغة العربية من

الجزائريين. هذا النوع من الصحافة كان دائما ركيزة لدعم الوجود الفرنسي في الجزائر مع استعمالها كأداة للتقرب من الجزائريين في نشرها لبعض المقالات ذات البعد الإسلامي والعربي.⁵

2/1- صحافة أحباب الأهالي

هذا النوع من الصحافة هي ملك لفرنسيين مستاءون من السياسة الاستعمارية في الجزائر يحاولون تقديم خدمات لنخبة جزائرية محددة حتى لا ييأسوا من الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر وذلك بدء بإصدار جريدة المنتخب بقسنطينة عام 1882 مباشرة بعد تأسيس جمعية بباريس تحمل اسم الجمعية الفرنسية لحماية الأهالي عام 1881. وقد تبنت جريدة المنتخب سياسة التقريب بين المسلمين الجزائريين والحكام الفرنسيين. كما شهدت صحف أحباب الأهالي صدور أكثر من 10 صحف في الفترة ما بين 1900 و1962 أهمها جريدة الأخبار وجريدة منبر الأهالي وجريدة الجزائر الجمهورية ، اغلب هذه الجرائد تعرض إلى مضايقات من طرف الإدارة الاستعمارية عدة مرات.

3/1 - صحافة الأهالي

يعرف الدكتور زهير إحدادن صحافة الأهالي بأنها "الصحافة التي أنشأها المسلمون الجزائريون ويقومون بتسييرها الإداري والمالي ويشرفون على تحريرها وتوزيعها ويكون مضمونها يتعلق بالقضايا الإسلامية الجزائرية وبشؤونهم العامة في علاقاتهم بالوجود الفرنسي بالجزائر مع الاعتراف المطلق بهذا الوجود".⁶ (إحدادن، 1992) وقد كان أول إصدار لهذا النوع من الصحف من خلال جريدة الحق عام 1893 بعنابه وجريدة المغرب عام 1903، وبعدها جريدة الصباح، وكوكب إفريقيا بمدينة الجزائر عام 1907، بالإضافة إلى جريدة ذو الفقار التي أصدرها عمر راسم والفاروق والصدیق اللتين أصدرهما عمر بن قدور الجزائري، وجريدة الإسلام والراشدي والإقدام وصوت الأهالي وجريدة المنتقد التي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس.

اغلب هذه الصحف كانت قد عرفت نوعا من الرعاية والتسهيلات من طرف الاستعمار أثناء بدايتها في الصدور، إلا أنها عرفت كثيرا من القمع والتوقيف والمضايقات فيما بعد، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وبروز أفكار مطلبية على صفحاتها هي اقرب إلى المطالبة بالمساواة والحقوق المدنية والسياسية للجزائريين مادام الكثيرون منهم يتمتعون بالجنسية ومؤمنون بالاندماج كما هو الحال مع التيار الذي كان يساند اطروحات الأمير خالد عبر جريدة "الإقدام" التي تم إيقافها عام 1923 وجريدة الصدیق التي أوقفت عن الصدور في 1922.

وقد كان يتم التعامل مع الصحافة الناطقة بالعربية في الجزائر على أنها صحافة أجنبية تطبيقا للمادة الـ 14 من قانون حرية الصحافة الصادر عام 1881، وهو ما كان يخول للسلطة الإدارية الفرنسية توقيف أي صحيفة ناطقة بالعربية دون إحالتها على العدالة.

وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين في 1931 أرادت أن تأسس جريدة ناطقة باسمها، فرفض طلبها طبقا للقانون المشار إليه أعلاه، حيث بادرت الجمعية بين 1931 إلى 1935 إلى إنشاء 05 صحف كانت السلطات العسكرية الفرنسية كل مرة تقوم بمصادرتها، ولم تتمكن أبدا من الانتظام في إصدار جريدة "البصائر". ومن أبرز الصحف الجزائرية التي كان لها الانتشار الواسع في هذا الاتجاه نذكر جريدة "الأمة" التي أصدرها أبو اليقظان في 08 سبتمبر 1933 كأسبوعية بالعربية والتي استمرت في الصدور إلى غاية 06 جوان 1938. كما نجد جريدة "لاديفانس" التي أصدرها الأمين العمودي في 26 جانفي 1934 باللغة الفرنسية والتي استمرت في الظهور إلى غاية 10 أوت 1939. بالإضافة إلى جريدة البصائر التي تأسست عن طريق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ 27 ديسمبر 1935 إلى غاية 1956. كما أصدر كل من فرحات عباس وعبد العزيز كسوس ومحمد الأخضر بمدينة عنابة جريدة "لونتوننت" باللغة الفرنسية في 29 أوت 1935.

4/1 - الصحافة الوطنية الاستقلالية

وهي الصحف الوطنية التي يعرفها د. زهير إحدادن بأنها الصحافة الجزائرية التي لم تعترف بالوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر وأخذت تحاربه بشدة وتنشر ما يقوي الوعي السياسي بوجود أمة جزائرية وبضرورة استرجاع الاستقلال للوطن الجزائري حتى ولو كان ذلك بالعنف وباراقة الدماء، سواء كانت هذه الصحافة تنطق بالعربية أو بالفرنسية وسواء ظهرت فوق التراب الجزائري أو خارجه. من ذلك جريدة "الأمة" الصادرة عن حركة نجم شمال إفريقيا بزعامة مصالي حاج بفرنسا التي كانت تسعى لنشر فكرة الاستقلال وهو ما كلف المضايقة والمصادرة في كثير من المرات. وقد تدعم خط جريدة الأمة فيما بعد بصدور جريدة "الشعب الجزائري" عام 1935 بالفرنسية وجريدة "الشعب" باللغة العربية وجريدة "البرلمان الجزائري" عام 1939 وجريدة العمل عام 1941 باللغة الفرنسية. واغلبها كانت تطبع وتوزع بشكل سري.

ومع تبني أصحاب الاندماج لفكرة الاستقلال وظهور "أحباب البيان" بعد انهزام فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية تم إصدار جريدة L'égalité المساواة التي قامت بالترويج لهذا البيان

وبالأخص فكرة السيادة الجزائرية وتأسيس برلمان جزائري و ذلك بالتنسيق بين حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض النواب الجزائريين. وإذا كانت فرنسا قد أوقفت العديد من الصحف مع انطلاق الثورة المسلحة في الجزائر خاصة الصحف المنتمية إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية فان صحف أخرى قد توقفت مع اشتداد الثورة في 1956. وهو ما دفع بجهة التحرير الوطني إلى التفكير في تأسيس جرائد تابعة لها بإنشاء جريدة " المقاومة الجزائرية " في 22 أكتوبر 1955 " في كل من فرنسا، والمغرب وتونس بنفس الاسم. كما أنشأت جريدة " المجاهد " بالعربية والفرنسية في الجزائر " بإصدار العدد الأول من المجاهد وذلك في منتصف شهر جوان 1956 ، وقد اضطر جريدة المجاهد بعدها إلى التوقف عن الصدور إلى أن نزلت ضيفة على زميلتها " المقاومة الجزائرية " بمدينة تيطوان بالمغرب"⁷. (حمدي، 1995) ومنذ عام 1957 بدأت جريدة المجاهد تأخذ شكلها النهائي المنتظم بعد أن أصبحت توزع في تونس والمغرب ، مذ اتخذت جهة التحرير الوطني مكانا لنشاطها في تسير الثورة .

وفقد ظلت جريدة المجاهد توزع في جميع أنحاء العالم وترسل عبر البريد الجوي إلى عدد كبير من الشخصيات والهيئات السياسية والثقافية في جميع أنحاء العالم في استراليا واسيا وأمريكا الجنوبية وأوروبا وأمريكا الشمالية وإفريقيا ..كما كانت تدخل عبر الحدود إلى الجزائر وتوزع على المناضلين وتقرأ بصفة جماعية على المواطنين.⁸ (احدادن، 1992)

02. بدايات البث الإذاعي في الجزائر

ظهرت الإذاعة المسموعة في الجزائر في العهد الاستعماري على يد الفرنسيين في أواخر العشرينيات من القرن العشرين عام 1926 و قد كانت تحت إشراف وملكية الحكومة الفرنسية والحاكم العام للجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث تم إدماج إذاعة الجزائر بالإذاعة الفرنسية خلال الفترة الاستثنائية التي صادفت تواجد الحكومة المؤقتة الفرنسية بالجزائر.

وقد تم منذ 1948 إنشاء استوديوهات لإنتاج برامج إذاعية في كل من قسنطينة ووهران و بجاية ، مع انجاز عدة محطات للربط بعدد من المدن الجزائرية الأخرى . وقد كان عدد المستمعين للإذاعة بالجزائر قد وصل عام 1956 إلى ما يقارب الـ 358 ألف مستمع منهم 157 ألف جزائري، في حين أن العدد الإجمالي للمستمعين عام 1948 لم يكن يتجاوز الـ 155059 مستمع أغلبهم من المعمرين والفرنسيين. وقد كانت البرامج متمثلة خاصة في نشرات الأخبار، الريبورتاجات والموسيقى والمسرح وبعض الحصص الثقافية والدينية. غير أن الإذاعة بالجزائر بقيت إلى غاية الاستقلال

عام 1962 تحت تصرف وتوجيه الإدارة الفرنسية إلى غاية 28 أكتوبر 1962 حيث تم استعادة الإشراف عليها مع التلفزيون بعد أكثر من 03 أشهر من حصول الجزائر على استقلالها. فبقدر ما كانت السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية تحكم سيطرتها على ما يتم بثه من أخبار وتعليق وحصص إذاعية دعائية للإحباط من تأجج لهيب الثورة الجزائرية وامتدادها الشعبي وسط الرأي العام الجزائري والدولي كان للثورة الجزائرية إستراتيجيتها في التعامل مع القضية استعانة بالمزايا التي كان يوفرها "الراديو" آنذاك.

1/2. برامج جزائرية على قنوات إذاعية عربية

بادرت قيادة الثورة الجزائرية منذ نهاية عام 1955 إلى بث برامج خاصة بالثورة وأخبارها وتعليقها في إذاعات الدول العربية لإيصال صوتها إلى العالم الخارجي" وكانت إذاعتا القاهرة وتونس أولى الإذاعات العربية التي خصصت برامج محددة في فترات ثابتة لإذاعة أخبار الثورة الجزائرية"⁹ (عواطف، 1985) حيث خصصت إذاعة القاهرة 03 برامج أسبوعية للجزائر مدة كل برنامج 10 دقائق. أما في تونس فقد كان يبث في قناتها الإذاعية برنامج "هنا صوت الجزائر المجاهدة الشقيقة" ويذاع 03 مرات في الأسبوع لمدة ربع ساعة في كل حصة"¹⁰ (عواطف، 1985).

2/2. الإذاعة الجزائرية المتنقلة

ردا على الدعاية الفرنسية، فكرت قيادة الثورة الجزائرية في إيجاد وسيلة تمكنها من القيام بعمل إعلامي دعائي يقوم بتزويد الجزائريين بالأخبار وتطورات الثورة في الداخل والخارج، وشرح القضايا الوطنية من كل جوانبها. وأزداد إصرار الثورة في دخول حرب الموجات السمعية وخاصة بعد أن أكدت وثائق مؤتمر الصومام على أهمية وسائل الإعلام والدعاية ودورها في الثورة الجزائرية المسلحة. فكان أول ميلاد للإذاعة الجزائرية في المغرب في شهر ديسمبر عام 1956 لكن الواضح أن انطلاق بث حصص إذاعية من قنوات عربية من خارج الجزائر لم يكن يفي بتلبية طموح إعلام الثورة الجزائرية في إيصال صوت الثورة وآراءها وتعليقها لشريحة واسعة من الجزائريين في الداخل، لذلك فقد كان من أهم قرارات مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 إنشاء محطة إذاعية لمواكبة وتغطية ونقل أخبار الكفاح المسلح. وهو بالفعل ما حدث منذ مطلع العام 1957 بإنشاء محطة إذاعية للبث هي عبارة عن سيارة كبيرة تحمل المعدات الإذاعية وتجوب بها الجبال والمدن والأرياف يعمل بها عدد قليل من المناضلين، لا يتعدى عددهم الـ 10 أغلبهم لا

تتوفر فيهم كفاءة العمل الصحفي و الإذاعي فلم يكن لهم سابق خبرة بالعمل الإذاعي، بل أن ظروف النضال هي التي اضطرتهم إلى القيام بهذا العمل¹¹ (عواطف، 1985)

وقد كانت هذه المحطة الإذاعية المتنقلة تبث إرسالها لمدة ساعتين في المساء ثم تعيد نفس البرنامج في اليوم التالي وباللغات العربية والفرنسية وبالدارجة والقبائلية، وقد كانت تبدأ برامجها بعبارة "هنا إذاعة الجزائر الحرة المكافحة" أو "صوت جهة التحرير الوطني يخاطبكم من قلب الجزائر" وقد كان الهدف الأساسي لهذه المحطة، إحقاق مزيد من الدعاية ومزيد من شحن الرأي العام لنقل وقائع عن أحداث ومعارك ضد الفرنسيين لم تقع.¹²

وقد كان إصرار القوات الفرنسية على ملاحقة هذه المحطة الإذاعية ومطاردتها والتحري عن مكان البث الذي تنطلق منه الهاجس الذي ظل شغلها الشاغل حيث قامت القوات الفرنسية عام 1958 بمحاولة كبيرة عن طريق الطائرات وعن طريق البحر بالكشافات لتحديد المنطقة التي يوجد بها جهاز الإذاعة. وبرغم تمكنها من رصد مكان البث إلا أنهم لم يتمكنوا من إلقاء القبض على سيارة البث الإذاعي ولا مسيرها الذين تمكنوا من الفرار وإنقاذ العتاد من الدمار.

فهذه المطاردة أجبرت الإذاعة المتنقلة عام 1959 على التوقف لمدة 04 اشهر، لتعاود قيادة الثورة الجزائرية إقامة محطة إذاعية ثابتة على الحدود مع المغرب " وقد كانت محاطة بوسائل الدفاع المختلفة من جانب جيش التحرير وقد كفل هذا الاستقرار ضمانات العمل على الوجه الأكمل بالنسبة للعاملين في الجهاز الإذاعي.¹³ (عواطف، 1985) ' وحماية العاملين في الإذاعة الجزائرية المتنقلة الامر الذي ساعدها فيما بعد ، ومنذ تاريخ 12 جويلية 1959 على إمكانية البث الإذاعي عبر 03 أمواج في 03 فترات متقطعة من اليوم باستثناء شهر نوفمبر، وهو الشهر الذي انطلقت فيه الثورة التحريرية حيث كان البث الإذاعي للقناة استثنائيا ، فيستمر من الرابعة صباحا إلى غاية الثانية من صباح اليوم الموالي ، بمعنى البث لمدة 22 ساعة مع استراحة ساعتين فقط.¹⁴ (المجاهد، 1961)

كان الدور الذي لعبته الإذاعة أثناء الثورة التحريرية الجزائرية في ربط الجزائريين بالثورة وتمكينهم من معرفة أراء قادة الثورة وتعاليقهم على كل الأخبار والوقائع التي يروجها الفرنسيون للنيل من عزيمة استمرار الجهاد ضد الاستعمار جعلت الإذاعة في صدارة وسائل الإعلام والاتصال في كسب المواطن الجزائري وجعله وفيًا لهذه الأداة الإعلامية مقارنة بالتلفزيون وحتى الصحافة المكتوبة أو السينما والمسرح آنذاك.

و بحكم خضوع كل من الإذاعة و التلفزة الجزائرية لمؤسسة واحدة و يجمعهما مبنى واحد ، فقد كان تاريخ 28 أكتوبر 1962 المصادف ليوم السبت موعدا لاستعادة الجزائر زمام سيادتها على الإذاعة بالجزائر حيث تم تعيين السيد عبد القادر نور مديرا للإذاعة¹⁵ (حسين، 1997)

03. التلفزيون في الجزائر

لا بد أن نفرق بين ميلاد التلفزيون الجزائري و ميلاد التلفزيون في الجزائر ، على اعتبار أن الميلاد المبكر للتلفزيون في الجزائر، لم يكن كحاجة إعلامية لخدمة الجزائريين ، بل هو حاجة فرنسية لإحكام السيطرة على مستعمرة تحت سيطرتها منذ أزيد من 120 سنة . فكما جلب نابليون بونابرت المطبعة إلى مصر جلبت الحكومة الفرنسية محطة التلفزيون إلى الجزائر .

1/3. التلفزيون في الجزائر المستعمرة

عرفت الجزائر البث التلفزيوني منذ منتصف الخمسينات ، بالضبط في 24 ديسمبر 1956 بتأسيس المحطة التلفزيونية بالجزائر العاصمة من طرف الاستعمار الفرنسي بعد أن أدرك هذا الأخير مدى أهمية الصورة التلفزيونية في تلميع صورته أمام الرأي العام الدولي ببث فقرات تلفزيونية عن الوضع في الجزائر بأعين فرنسية. كما يتضمن برامج تلفزيونية إخبارية عن فرنسا وما يحدث فيها من مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية والرياضية .

بتنصيب فرنسا الاستعمارية محطة للبث التلفزيوني في الجزائر عام 1956 يكون ذلك، أول بث تلفزيوني في الوطن العربي، إلى جانب العراق التي عرفت التلفزيون في نفس السنة، أي بعد حوالي 11 سنة من "إذاعة برامج إخبارية بفرنسا في 24 مارس 1945".¹⁶ (ألبير، 1984). فالتلفزة في الجزائر في عهد الاحتلال كانت في الغالب حكرا على الفرنسيين من المعمرين وأعوانهم من العملاء و البشاعات ،

فقد كانت تبث برامجها عبر محطة إرسال تتواجد برأس تمتفوث "ماتيفو" على بعد 20 كلم عن مدينة الجزائر" وكانت قوة الجهاز تقدر بـ 03 كيلواط في البداية ثم وصلت إلى 20 كيلواط سنة 1957. ولم تكن تشاهد إلا في مدينة الجزائر وضواحيها القريبة، ببث تلفزي لا يتجاوز الـ 31 ساعة في الأسبوع باللغتين العربية والفرنسية".¹⁷ (احدادن، 1992)

وقد عرفت هذه الفترة محدودية في انتشار البث التلفزيوني في الجزائر فلم يكن إلى غاية عام 1962 إلا 05 جزائريين من كل 1000 جزائري يملكون جهازا تلفزيونيا . وكان الهدف من هذا البث

محاولة إقناع الأقلية الأوروبية الساكنة بالجزائر بالسياسة الاستعمارية المنتهجة وخلق رأي يبرر هذه السياسة ويدعمها".¹⁸ (حيفري، 1985).

وقد أشارت الإحصائيات الفرنسية انه مع حلول العام 1960 ان عدد أجهزة التلفزيون في الجزائر قد تضاعف وسط المعمرين الفرنسيين والأوروبيين مرتين مقارنة بما وصل إليه بين الجزائريين السكان الأصليين برغم كثرتهم العددية.¹⁹ (d'Oran, 1957)

وقد ارجع بعض الدارسين سبب عدم انتشار جهاز التلفزيون في الجزائر أثناء العهد الاستعماري إلى تخوف الجزائريين. حتى الذين كانت ظروفهم المادية تسمح باقتناء جهاز التلفزيون - من محتوى برامج ما بثته هذه القناة التي كان يتحكم في أفكارها وتوجهاتها المستعمر الفرنسي بالدرجة الأولى وكذا" التمسك بالقيم والأخلاق وأنماط حياتهم المعيشية"²⁰ (حيفري، 1985)

وفضلا عن ذلك يذكر فرونز قانون بأن برامج التلفزيون في الجزائر آنذاك، " كانت تتضمن مشاهد تتعمد الإشارة إلى موضوعات العشق والغرام أو حتى التلميحات الهزلية التي ترمي إلى إثارة الضحك في البرامج المبثثة تثير في أعقابها وسط الأسرة عددا من التوترات لا يمكن احتمالها"²¹ (Fanon, 1972) فقد أنجزت فرنسا خلال العهد الاستعماري أزيد من 200 فلم تلفزيوني بالمغرب العربي ، كلها لا تتلاءم والتقاليد الاجتماعية ، لذلك لا يجد الجزائري أمامه إزاء هذا الإعلام المزيّف سوى اللجوء إلى أسلوب الانغلاق والتقوقع على النفس حتى لا يجد الاستعمار مدخلا للنيل من شخصيته الوطنية. فامتناعهم عن اقتناء أجهزة التلفزيون وسيلة تحميهم من التحلل والذوبان في المحتل وعاملا ايجابيا يدعم المقاومة ضد الاستعمار"²² (حيفري، 1985) فكل وسائل الاعلام الفرنسية في الجزائر كانت مجندة لخدمة وجهة النظر الفرنسية الاستعمارية ، والترويج لمصالحها و أطروحتها ، وكلها كانت تحرص على نقل صورة مهزوزة ومشوهة عن كفاح الشعب الجزائري ، وتتعمد إبراز الجوانب السلبية في الثورة الجزائرية. وهو ما عبر عنه السيد عبد الحميد مهري الذي كان يشغل منصب مسؤول الإعلام والدعاية أثناء الثورة.²³ (عواطف، 1985) ، وفي ذلك تشير مجلة الوثائق الجزائرية التابعة لمصلحة الإعلام الفرنسية في عهد الاحتلال إلى " أن تلفزيون الجزائر عام 1957 كان يشغل به ستة عشرة صحفيا و 05 مصورين و 45 إداريا و 170 تقنيا لا يوجد بينهم أي جزائري"²⁴ (Documents Algériens:)

وقد شملت عديد ساعات البث التلفزيونية عرض برامج على الشاشة في الجزائر هي هو عبارة عن أفلام أغلبها كان يعتمد الحط من شخصية العرب والجزائريين بالخصوص ، مع الاكتفاء بإظهارهم كخدم أو لصوص وقطاع الطرق أو مقامرين.²⁵ (عبد الحميد حيفري 1985)

مع اعتبار كل ما يبث بشأن الجزائر هو عبارة عن دعاية وتشويه لوقائع الثورة الجزائرية المتأججة التي كانت انتصاراتها تصنع الرأي العام الدولي آنذاك. بل ان الإدارة الفرنسية عمدت أيضا إلى فرض عقوبات إدارية على أي مخرج بالجزائر ينجز عملا تلفزيونيا يتنافى وسياسة فرنسا في إدارة الحكم بالجزائر.

فقد عبر المخرج الفرنسي "ريسني" باستهزاء عن هامش الحرية المتاح للعمل الإبداعي في التلفزيون والسينما عام 1958 ، قائلا :إننا أحرار في أن نقول ما نريد ونكتب ما نشاء ، بشرط أن لا نتكلم عن رجال الدرك، أو القضاء أو الوزراء أو العسكريين، وان لا نتطرق لموضوع يتعلق بالوضعية السياسية السائدة في الجزائر"²⁶ (Resnais, 1958) وهو ذات الانطباع الذي صرح به رئيس نقابة عمال السينما بالجزائر الفرنسي سيامي ، مؤكدا تحديه لأي شخص يمكنه اليوم أن يتكلم عن الجزائر وعن المشاكل الاجتماعية أو قضايا التمييز العنصري وعن الحرب وعن الشرطة وعن عمال شمال إفريقيا المتواجدين بفرنسا... أو أي مسألة تتعلق بالسياسية.²⁷ (Resnais, 1958)

2/3 ميلاد تلفزيون الجزائر غداة الاستقلال

عندما استعادت الجزائر استقلالها في 05 جويلية 1962 وجدت الحكومة الجزائرية نفسها أمام وضع اجتماعي حرج ، أهم ما يميزه وجود أزيد من 80% من الجزائريين في حالة أمية مطلقة، لا يحسنون لا القراءة ولا الكتابة، بالإضافة إلى تمركز البث التلفزيوني في المدن الكبيرة فقط مع وضع داخلي يقتضي التعامل معه بما يتماشى والعهد الجديد الذي دخلته الجزائر بعد 132 سنة من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وبحكم أن الثورة الجزائرية خرجت منتصرة على أعقوبة استعمارية ، مع غياب شبه مطلق لكل الكوادر الضرورية لقيام الدولة الحديثة المغيبة منذ 132 سنة ، شعرت الحكومة الجزائرية المؤقتة وهي تعيش وهج الانتصار في احتفالات شعبية ورسمية ، وطنيا وعربيا ودوليا ، مع أهمية الحفاظ على هذه الشعلة في مواجهة رواسب سنوات الحرمان التي عاشها الشعب الجزائري الحالم بغد أفضل عشية الاستقلال عن فرنسا.

هذا الوضع دفع السلطات العمومية الجزائرية إلى جانب إصدار قرار يوم 10 جويلية 1962 لرئيس الحكومة المؤقتة القاضي بمنع طبع وبيع وتوزيع بعض الصحف الفرنسية بالجزائر اعتبارا لمواقفها التي تتميز بها دائما من عدااء لوحدة الشعب الجزائري واعتبارا لما يمكن أن تحدثه هذه المقالات من اضطرابات بالنسبة للنظام العام²⁸ (تواتي، 2009) ارتأت أيضا قبل ذلك إبان مفاوضات أيفيان، الموافقة على إقامة تعاون في المجالات المختلفة المتعلقة بشؤون الراديو والتلفزيون مع الإذاعة والتلفزيون الفرنسي RTF ، والموافقة على أن لا تسلم فرنسا محطات الإذاعة والتلفزيون إلى الجزائر سوى بكيفية مؤقتة مع إبقاء الإذاعة والتلفزيون الجزائرية تحت الإشراف الفرنسي .

لكن هذا الوضع لم يدم أكثر من 04 أشهر حيث ضاق الجزائريون ذرعا من استمرار تواجد الرموز الفرنسية في الجزائر المستقلة. فقد صرح قايد أحمد وهو واحد من أعضاء المكتب السياسي لحزب جبهة التحرير الوطني آنذاك قائلا، بأن استعادة السيادة على الإذاعة والتلفزيون " يندرج ضمن إرادتنا إلى تصفية كل ما من شأنه أن يذكرنا ، من قريب أو من بعيد بالوجود الاستعماري الأليم داخل بلادنا... انه ليس من قبيل المنطق - وقد استرجعت الجزائر سيادتها الوطنية - أن نسمح بوجود أجهزة إعلامية ، نعرف المواقف التي تبنتها إبان عهد الاحتلال ، إن هذه الإجراءات ، تتوافق مع مبادئ دستورنا الجهورية"²⁹ (حمدي، 1962) فقد استغنت السلطات الجزائرية بعد أقل من 04 أشهر عن كثير مما تضمنته اتفاقيات إيفيان بشأن تسيير الإذاعة و التلفزة الجزائرية فقد تم استرجاع السيادة على مبنى مؤسسة الإذاعة و التلفزة الجزائرية من طرف إدارات جزائرية يوم السبت 28 أكتوبر 1962 على الساعة الحادية عشرة صباحا ، وذلك برغم انسحاب الفرنسيين من مبنى التلفزيون جماعيا حيث رفض الصحفيون والتقنيون والمخرجون الفرنسيون انسحاب الإدارة الفرنسية لصالح إدارة جزائرية كاملة، ما دفع بما يزيد عن الـ 150 صحفي وتقني من الفرنسيين الى الانسحاب ، مع تحويل أرشيف المحطة إلى رماد وخراب بعد أن تم إحراقه ونهب ما شاءوا من أرشيف وشرطة ووثائق.

عندها تولي كل من السيد عيسى مسعودي وعبد العزيز شكيري و رابح مداوي وعلي مروش وعبد الرحمان لغواطي وخالد سافر ومحفوظ مغربي و مليكة أوزقان زمام تسيير الإذاعة والتلفزيون الجزائري منذ لحظة انسحاب الفرنسيين.³⁰ (نور، 2014)

ليتواصل البث التلفزيوني الجزائري في ذات اليوم 28 أكتوبر 1962 على الساعة السادسة مساء بظهور بث أول صورة جزائرية متلفزة ، متمثلة في عزف النشيد الوطني ، وبدئ السيدة أمينة بلوزداد بعرض برنامج ذلك اليوم . ومع ذلك لم يتوقف البث ، حيث اضطرت ظروف العمل إلى اعتماد برامج غير موحدة بين المحطات الجزائرية الثلاث في كل من الجزائر ، قسنطينة و وهران. أما عن نشرة الأخبار، فيقول عبد الرحمن لغواطي " لقد كانت ترسل عن طريق الطيران إلى المحطات الأخرى لتبث 24 ساعة بعد بثها في العاصمة ليتم التغلب على هذا المشكل تدريجيا ".³¹ (لغواطي، 1997)

خاتمة : كانت وسائل الاعلام في الجزائر في عهد الاحتلال دوما عنوانا للصراع السياسي و الايديولوجي والعسكري الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على الجزائريين ان بالتعقيم على ما يحدث من قمع وتنكيل في حق الجزائريين الذين كانوا دوما في انتفاضات رافضة لهذا الامر الواقع الذي ارادت الحكومة الفرنسية بتعاقب الوائها السياسية اقناع الرأي العام الدولي ، أو بتدجين كثير من العناوين الاعلامية والشخصيات بغية تلميع صورة الحكومة الفرنسية وممارساتها ازاء الشعب الجزائري .

والمحصلة ان تاريخ وسائل الاعلام في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي يشير في كل محطاته الى صورة معبرة عن كل محطات الصراع بين القوة الاستعمارية الفرنسية و الوان المقاومة التي عايشها الجزائريون الى غاية اندلاع الثورة المسلحة في 01 نوفمبر 1954 وما ترتب عنها من وعي بأهمية اعتماد ثائية اسلوب المواجهة مع العدو الى عمل مسلح ودعاية اعلامية مدروسة قوامها سلاح الاعلام . وهو الامر الذي اريك شارل ديغول واحرج الحكومات الفرنسية المتهاوية تباعا بسقوط 07 حكومات خلال السبع سنوات التي استمر فيها الكفاح المسلح للجزائريين .

الجزائريون الذين عرفوا كل انواع وسائل الاعلام في وقت مبكر اثناء عهد الاحتلال الفرنسي ، لطالما كانت هذه الوسائل حكرا على الفرنسيين أمام اعين الجزائريين ، لكنها سرعان ما أصبحت واحدة من أدوات الصراع ضد الاستعمار الفرنسي ، تواكب تطلعات الشعب الجزائري وتوقه للحرية و الاستقلال.

. قائمة المراجع :

أولا . الكتب

01. أ. د. فضيل دليو ، تاريخ وسائل الاعلام والاتصال ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2013 ص 283
02. د أحمد حمدي ، بشارقويدر و اخرون ، الاعلام ومهامه اثناء الثورة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، دار القصة الجزائر ، 2010 ص 109
03. د. زهير إحدادن : الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال "عالم الاتصال" سلسلة الدراسات الإعلامية . إعداد مجموعة من الأساتذة . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1992..
04. الدكتور حمدي " الثورة الجزائرية والإعلام " منشورات المتحف الوطني للمجاهد ط 02 الجزائر 1995 وكتاب دراسات في الصحافة الجزائرية - دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2000 .
05. د. زهير . إحدادن . الإذاعة و التلفزة في الجزائر . سلسلة المجتمع - ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1984
06. د.عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر.كراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962-المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر- 1985.
07. بدير ألبير و آخرون ، تاريخ الإذاعة و التلفزة . ترجمة محمد قدوش سلسلة المجتمع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1984
08. د.عبد الحميد حيفري. التلفزيون الجزائري واقع و آفاق . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر 1985.
09. د نور الدين تواتي ، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية في الجزائر ، دار الخلدونية ، الجزائر 2009 ط 2

ثانيا . الكتب بالفرنسية

- 01 -Fanon (F) : Sociologie d'une révolution ou l'an V de la révolution Algérienne, éd Maspero . Paris 1972
- 02 -Resnais : Témoignage chrétien du 28-02-1958 au 26-03-1958

ثالثا . المجلات

01. مجلة الشاشة الصغيرة، بن حسين نائب مدير تنمية الإذاعات المحلية بالإذاعة الوطنية في العدد 27 مارس 1997.

02 - مجلة الإذاعة الجزائرية . ذكرى استرجاع السيادة الوطنية . الشعب يسترجع سيادته عدد أكتوبر 1993.

03 - مجلة الشاشة الصغيرة تصريح عبد الرحمن لغواطي المدير التقني للإذاعة و التلفزة الجزائرية عام 1962. في حوار صحفي العدد 34 أكتوبر 1997 الجزائر

04 - جريدة المجاهد ، البرامج و ساعات البث مأخوذة من: العدد 191 لشهر مارس 1961

رابعا . وثائق

01 - Documents Algériens : Archives de la wilaya d'Oran. الوثائق الجزائرية و هي مجلة تابعة لمصلحة الإعلام الفرنسية الصادرة في عهد الاحتلال . رقم 30.1 اوت 1957. ص 29 . مصلحة الوثائق بوهرا

02 - قايد احمد . عضو المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني في بيان له نشر بجريدة الشعب التي كانت تصدر بالفرنسية ليوم 18 نوفمبر 1962. بعد تأميم التلفزيون و الإذاعة يوم 1962/10/28

خامسا . مواقع اليكترونية

¹ تصريح السيد عبد القادر نور اول مدير للاذاعة الجزائرية بعد الاستقلال لموقع الاذاعة الجزائرية على الموقع <http://www.radioalgerie.dz> يوم - 26/10/2014 الساعة 16:03

التهميش :

¹ أ. د. فضيل دليو ، تاريخ وسائل الاعلام والاتصال، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر 2013 ص 283.

² د أحمد حمدي، بشار قويدر وآخرون، الاعلام ومهامه اثناء الثورة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، دار القصبة الجزائر، 2010 ص 109

³ د. زهير إحدادن : الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال " عالم الاتصال " سلسلة الدراسات الإعلامية . إعداد مجموعة من الأساتذة . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1992. ص 97.

⁴ د. زهير إحدادن : نفس المرجع السابق ص 98.

⁵ يصنف بعض الباحثين الصحافة الجزائرية في عهد الاحتلال إلى 03 أنواع حيث أورد الدكتور "احمد حمدي " ثلاثة أنواع من الصحافة في عهد الاحتلال وهي 01 - صحافة السلطة (الدولة) - 02 - صحافة الكولون (خاصة) - 03 - صحافة الأهالي (جزائريون) انظر الدكتور حمدي "الثورة الجزائرية والإعلام"

منشورات المتحف الوطني للمجاهد ط 02 الجزائر 1995 وكتاب دراسات في الصحافة الجزائرية - دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2000 .

⁶ د. زهير إحدادن: الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال، نفس المرجع السابق ص 105.

⁷ الدكتور احمد حمدي الثورة الجزائرية والإعلام - منشورات المتحف الوطني للمجاهد - ط 2 الجزائر 1995

⁸ د. زهير إحدادن : الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال، نفس المرجع السابق ص 113.

⁹ د.عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر.كراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962-المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر- 1985 ص 58.

¹⁰ د. عواطف عبد الرحمن . المرجع السابق ص 59.

¹¹ د.عواطف عبد الرحمن . المرجع السابق ص 59.

¹² من حديث السيد موني حواس أحد المسؤولين عن الجهاز الإذاعي أثناء الثورة الجزائرية في ديسمبر 1967 . في تصريح للدكتورة عواطف عبد الرحمن مذكور في المرجع السابق ص 60.

¹³ د.عواطف عبد الرحمن. الصحافة العربية في الجزائر. مرجع سابق ص 61.

¹⁴ البرامج وساعات البث مأخوذة من:جريدة المجاهدالعدد191 لشهرمارس 1961

¹⁵ السيد بن حسين نائب مدير تنمية الإذاعات المحلية بالإذاعة الوطنية تصريح بمجلة الشاشة الصغيرة ع 27 مارس 1997 ص 18.

¹⁶ بيبير ألبير-تاريخ الإذاعة و التلفزة.ترجمة محمد قدوش سلسلة المجتمع - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1984. ص 62.

¹⁷ د. زهير . إحدادن . الإذاعة و التلفزة في الجزائر. سلسلة المجتمع - ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1984 ص 108.

¹⁸ د.عبد الحميد حيفري. التلفزيون الجزائري واقع وآفاق . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر 1985. ص 29.

¹⁹ Documents Algériens : Archives de la wilaya d'Oran.

الوثائق الجزائرية ، مصلحة الإعلام الفرنسية الصادرة في عهد الاحتلال . رقم 30.1 اوت 1957. ص 29 . مصلحة الوثائق بوهران

²⁰ د.عبد الحميد حيفري التلفزيون الجزائري واقع وآفاق المرجع السابق ص 30.

- 21 Fanon (F) : Sociologie d'une révolution ou l'an V de la révolution Algérienne , éd Maspero . Paris 1972 p52
- 22 د.عبد الحميد حيفري التلفزيون الجزائري واقع و آفاق المرجع السابق ص 31.
- 23 د. عواطف عبد الرحمن . الصحافة العربية في الجزائر . دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر 1985. ص 49.
- 24 Documents Algériens . Archives de la wilaya d'oran . n° 30 p31
- 25 د.عبد الحميد حيفري التلفزيون الجزائري واقع و آفاق مرجع سابق ص 32/33
- 26 - ريسني Resnais : Témoignage chrétien du 28-02-1958 au 26-03-1958 p11.
- 27 نفس المرجع السابق ص 11 CIAMPI : Témoignage chrétien
- د نور الدين تواتي ، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية في الجزائر ، دار الخلدونية ، الجزائر 2009 ط2 ص28
- قايد احمد . عضو المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني في بيان له نشر بجريدة الشعب التي كانت تصدر بالفرنسية ليوم 18²⁹ نوفمبر 1962. بعد تأميم التلفزيون و الإذاعة يوم 28/10/1962
- تصريح السيد عبد القادر نور اول مدير للاذاعة الجزائرية بعد الاستقلال لموقع الاذاعة الجزائرية على الموقع ³⁰ <http://www.radioalgerie.dz> يوم - 26/10/2014 الساعة 16:03
- 31 عبد الرحمن لغواطي . المرجع السابق ص 15.